مقدمة :

التغير الاجتماعي هو: " كل التحولات التي يمكن ملاحظتها في البناء الاجتماعي وفي التنظيم الاجتماعي في كليتهما أو أجزائهما، ثم في القيم والعلاقات والأدوار الاجتماعية في زمن معين ".

إن الاهتمام التنظيري بمسألة التغير الاجتماعي، مسألة قديمة-جديدة. قديمة قدم الفكر الاجتماعي، ومع فلسفة التاريخ؛ مع ابن خلدون وفيكو حول التفسير التعاقبي الدوري لتطور المجتمعات وتغيرها. ومع كانط وهيغل وكونت... حول التفسير القائم على التقدم والخطية للمجتمعات.

ومعنى هذا أن التغير الاجتماعي في شكله المعاصر قد ظهر نتيجة للصعوبات التي واجهت نظريات التقدم بمفهومها الفلسفي ونظريات التطور بشكلها القديم البيولوجي. فظهرت نظريات سوسيولوجية علمية توصل إليها أصحابها من خلال الدراسة العلمية الامبريقية التي تنتهج المناهج السوسيولوجية. ومن أمثلة النظريات السوسيولوجية؛ نظرية أوجبرن، دوركايم، ماركس، بارسونز، موركان، سبنسر، جينز برج، غي روشي...

لم يختلف علماء الاجتماع فيما بينهم على التغير كحقيقة أو مسلمة في حد ذاته؛ فهذا شيء متفق عليه، وإنما كان الاختلاف حول تفسير طبيعة التغير ومسبباته. فما هي إذن أبرز المقاربات السوسيولوجية التي تناولت التغير الاجتماعي ؟

سنحاول رصد بعض النظريات المفسرة للتغير الاجتماعي من زوايا معرفية ومنهجية مختلفة، باختلاف المدارس والاتجاهات التي ينتمي إليها أصحاب هذه النظريات. لكننا سنركز على النظريات الكلاسيكية، وهي نظريات أقرب إلى فلسفة التاريخ، منه إلى علم الاجتماع. وفيها نموذجين معرفيين كبيران ومختلفان وهما النموذج الدائري والنموذج الخطي. ويضم بدوره اتجاهين؛ أ- **نظريات دائرية. ب- نظريات خطية.**

الدرس السادس : نظريـات الدورة الاجتمــاعية(النظريات الدائرية)

ترى هذه النظريات أن عملية تغير الحياة الاجتماعية تسير بشكل دائري تنتهي حيث بـدأت وهذه الحركة منتظمة بحيث تبدأ من نقطة معينة في دورة تقود المجتمع إلى نقطة مشابهة للتي بدأ منها .

1 - ابن خلدون :

يعتبر ابن خلدون مبتدع نظرية التعاقب الدوري، والتي تفيد أن المجتمع البشري شأنه شأن الفرد الذي يمر بمراحل منذ ولادته وحتى وفاته وكذلك يحدث للدول. هكذا شبه ابن خلدون عمر الدول بعمر المرء؛ يقول في مقدمة كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر): " الدولة لها أعمار طبيعية كالأشخاص ". وأن مسيرة المجتمع تغيرية دائرية تبدأ وتنتهي في النقطة التي كانت قد بدأت منها؛ الولادة، فالنمو (النضج)، ثم الانحلال (الموت). وعلى هذا الأساس تمر الدول بالمراحل التالية: بداوة – ازدهار – تدهور، وأن انهيار دولة ما يفسح المجال لقيام دولة جديدة تمر بنفس المراحل، وهكذا دواليك.[1]

كما حدد عوامل تطور المجتمع القبلي في ثلاثة وهي: 1 -العصبية. 2- الفضيلة. 3- الدعوة الدينية. من هنا أهمية العوامل الدينية (الثقافية) في حدوث التغير. وتعرض إلى عوامل فساد المجتمع وهي الانهيار الاقتصادي والضعف الديني. كما قال بعوامل تساعد على التقدم وهي عوامل بيئية وكثافة السكان ثم عدالة الدولة. من هنا أيضا العوامل الديمغرافية والجغرافية(الطبيعية)، كمحددات أساسية للتغير الاجتماعي.

هكذا استطاع ابن خلدون بناء نموذج معرفي متميز، استطاع أن يحجز به مقامين؛ الأول في فلسفة التاريخ (بكون نظريته من أول وأبرز تفسير في فلسفة التاريخ)، والثاني في علم الاجتماع (بحيث قدم نظرية لتفسير تغير المجتمعات بالرجوع إلى عدة عوامل: الاقتصادية، والديمغرافية، والدينية ، ثم الطبيعية).

لهذا أصبح ابن خلدون مرجعا للعديد من النظريات في فلسفة التاريخ وفي علم الاجتماع. وسنعرض بعضها بخصوص تفسير التغير الاجتماعي.

2 - فيكو 1668-1744:

ويرى أن التغير الاجتماعي يسير في شكل دائري معاود في إطار لولبي، بحيث كل دورة تعلو الدورة السابقة وتكون أنضج منها ثقافياً . وهكذا فهو يرى أن التغير ليس خطياً صاعداً وإنما يتكرر باستمرار في دورات ثلاث ، ليست في مستوى واحد .

وهذا ما عالجه في كتابه (مبادئ علم جديد) تاريخ تطور المجتمعات الإنسانية فقسمها إلى ثلاث مراحل متعاقبة :

* المرحلة الدينية(عصر الآلهة) : وهي المرحلة الأولى في الدور الحضارية، تسود فيها الخرافات والأساطير، وخوف الإنسان الشديد من الطبيعة.

* مرحلة البطولية(عصر الأبطال) : في هذه المرحلة تنتقل السلطة من رجال الدين والكهنوت إلى رجال الحرب والسياسة، ويظهر على أساسه نظام أرستقراطي مستبد.

* مرحلة الإنسانية(عصر الإنسان) : تتميز هذه الفترة بحصول الإنسان على حقوقه الكاملة، وتظهر الديمقراطية كنظام جديد لممارسة السلطة، وكذلك الانتشار الواسع لقيم الحرية والمساواة والعدالة. وهذا العصر يتضمن بذور انحلاله وفنائه. لتبدأ دورة حضارية جديدة أعلى من سابقتها متدرجة من دور الآلهة إلى دور الأبطال، فدور البشر، وهكذا دواليك تمضي

[1] مصطفى الخشاب ،علم الاجتماع ومدارسه ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، 1966 ص 207

المجتمعات في دورة دائمة. (فكل دورة يعقبها بالضرورة سقوط جديد في الهمجية، وبداية لدورة جديدة).[1]

[1] العادلي فاروق محمد ، التربية و التغير الاجتماعي ، دار الكتاب الجامعي ،القاهرة 1990 ص 86